منهجية الحوار والتقريب
بين المذاهب والفرق الإسلامية

إعداد

أ.د. معراج الإسلام ضياء •

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، سيد الأولين والآخرين محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الأخيار المهتدين وبعد.

إن مما يجمع أهل التوحيد من أتباع الأنبياء السابقين عامة، وأمة محمد ﷺ خاصة هو الانقياد لرب واحد، ودين واحد، يدعو إلى عبادة ذلك الرب الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، والقائل في محكم كتابه:

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[1]، والأمر لأمة محمد ﷺ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ

• – رئيس قسم العلوم الإسلامية بجامعة بيشاور (باكستان).

[1] – سورة المؤمنون آية ٥٢.

الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]، **وهو القاسم المشترك بين أفراد هذه الأمة بجميع مذاهبها وفرقها التي تدين لله بدين الوحدانية، وللنبي بالرسالة، وربهم يقول لهم** ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2]، **والقائل والأمر لهم بطاعة دين واحد ونبي واحد لتحافظ لهم على قوتهم وهيبتهم على عدوهم** ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3].

وهذه أمنية كل ابن من أبناء الأمة الإسلامية أن تكون أبناء الأمة متوحدين متعاونين متكاتفين تألفت قلوبهم، وتوحدت صفوفهم، واجتمعت كلمتهم على الحق، بل هو شعار كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها، ينادي بوحدة الأمة الإسلامية، ويصيح على علماء الإسلام ومفكريه للعمل على توحيد الأمة وإخراجها من هذا المأزق الذي هو سبب هوانها وذلها، بل إن الفرقة بين أتباع المذاهب الإسلامية منعتهم من الشعور بالأخوة الإيمانية التي هي سمة هذه الأمة حيث قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[4].

---

[1]- سورة آل عمران آية ١١٠.

[2]- سورة آل عمران آية ١٠٣.

[3]- سورة الأنفال آية ٤٦.

[4]- سورة الحجرات آية ١٠.

بل هذه فطرة المسلمين التي خلقهم الله عليها، ودينهم الذي يتدينون به، الذي هو يسمو بالإنسانية كلها تكريما لكل إنسان خلق على وجه المعمورة، قال سبحانه:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[1]، وقال عز من قائل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2]، فكيف بمن يجتمعون على رب واحد ورسول واحد، وكتاب واحد، وقبلة واحدة، فلذا يجب أن يركز عملنا على تقارب بين المسلمين بشتى فرقهم فكريا تنتج عنه مودة ورحمة وتعاون على البر والتقوى.

الهدف من الحوار والتقريب:

إن الهدف من التقريب بين المذاهب الإسلامية، ليس توحيدها، ولا إزالة أصل الخلاف بينها، لأن لكل إنسان حرية الانتماء إلى مذهب من المذاهب بل جل الغرض هو إزالة أن يكون هذا الخلاف سببا للعداء والبغضاء، وأن يتبدل التباعد والتضارب بالإخاء والتقارب، فإن المسلمين جميعا مهما اختلفوا في أشياء من الدين فإنهم قد اتفقوا على مضمون الأحاديث المقطوع بصحتها من أن من شهد شهادتين، واتخذ الإسلام دينا له، فقد حرم دمه وماله وعرضه، والمسلم أخو المسلم، وأن من صلى إلى قبلتنا، وأكل من ذبيحتنا، ولم يتدين بغير ديننا فهو من له ما لنا وعليه ما علينا.

---

[1]- سور الإسراء آية ٧٠.

[2]- سورة النساء آية ١.

فتعدد المذاهب ثراء للإسلام والمسلمين، والاختلاف رحمة طالما أن الجميع متفقون على مبدأ واحد، وفكرة واحدة، والاختلاف والتعدد من آيات الله سبحانه وتعالى ولكن الأصل واحد، والتقريب بين المذاهب يرتكز على تجميع العناصر المشتركة للوفاق، والاتفاق على أصول ثابتة وراسخة موحدة، لا يختلف عليها اثنان من العقلاء المسلمين، لأن ربهم واحد وكتابهم واحد، وقبلتهم واحدة.

وكذلك الحوار في الإسلام له أهدافه التي يرجى الوصول إليها، فلا بد له من ضوابط تحكم سيرة ومرجعية يرجع إليها عند الاختلاف في الآراء، فالمسلم الذي آمن بالله تعالى، ورضي بالإسلام منهجا لحياته، لا يجوز له مناقشة قبوله بمنهج آخر للحياة، ولا يعقل أنه يتحاور مع سواه على إمكانية أن تصوغ حياته شريعة أخرى غير شريعة الله تعالى، وعليه فلا بد من تحديد أهم ضوابط الحوار التي تحكم سيره، إذا أريد للحوار أن يبقي في نطاق ما يقبل من قبل المسلم المحاور، أو المحاور، وسيأتي الحديث عن أهم الضوابط لهذا إنشاء المولى جل وعلا.

إمكانية التعايش بين المذاهب الإسلامية:

يظن بعض الناس أنه من المستحيل التقريب بين المذاهب، لأن لكل مذهب مصادره، وأدلته المعتبرة ومنهجيته في الاستنباط، لكن الأكثرية يرون أن التقريب ممكن رغم أن لكل مصادره وأدلته ومنهجه، لأن العبرة بما يكون بين أتباع المذاهب والفرق من احترام وألفة وتعاون على البر والتقوى، وهذا أمر ممكن بل لازم، إذ أن الفطرة البشرية مستعدة لمثل هذه الضروب الفكرية، رغم ما بينها من خلافات في أمور كثيرة، والذي يجمع ما بين المذاهب والفرق الإسلامية، أكثر مما يجمع بين الأديان السماوية، ولكن العبرة بما يستقر في النفوس والعقول، من نظرة إلى الأطراف الأخرى من تسامح أو غلو وإفراط، فلذا ينبغي أن تكون هناك دعوتان، دعوة للتعايش ودعوة للتقارب.

أما دعوة التعايش فهي التي تحتاجها جماهير الأتباع للمذاهب والفرق الإسلامية، بما يبث علماؤهم ووعاظهم ومفكروهم في عقولهم من أحكام، وأفكار، ورؤى تؤدي إلى تأليف القلوب، أو تباغضها وإلى احترام الآخرين، أو استنجائهم وإلى التعاون بينهم أو التفرق وإلى الوحدة أو التمزق، وهذه حركة جماهيرية.

أما دعوة التقريب فهي التي تكون بين العلماء والمفكرين:

أولا: تقوم على البحث العلمي، والنقاش الهادئ فيما اختلفت فيه مذاهبهم من المصادر والأدلة، ومناهج الاستنباط.

ثانيا: ليكون كل على بينة من رؤية الطرف الآخر ليعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه.

ولقد ذكر حجة الإسلام أبو حامد الغزالي وهو من القائلين بتصويب جميع المجتهدين في الظنيات فوائد المناظرات بين العلماء للرد على شبهة من يقول بعدم الحاجة إلى المناظرات فذكر من بينها:

١- إمكان التوصل إلى دليل قاطع من نص أو ما في معناه أو دليل عقلي قاطع يجعل الموضوع من القطعيات وليس من الظنيات.

٢- الاستعانة بالمناظرة على الترجيح بين الأدلة المتعارضة.

٣- إزالة معصية سوء الظن بأن مخالفة الآخر إنما هي على سبيل الحسد أو العناد، أو مجرد الإنكار.

٤- إزالة الجهل بأن الرأي أو الحكم بسبب المخالفة لدليل قاطع.

٥- التنبيه على طريقة اجتهاد كل مجتهد حتى إذا تبين لأحدهم ضعف طريقة اجتهاده كان لديه علم بطريقة اجتهاد غيره فيرجع إليها.

٦- قد تبين أن الخلاف في الحكم ليس بين راجح ومرجوح، وإنما بين راجح وأرجح، فيكون المجال مفتوحا للعمل بالأرجح أو الأكثر ثوابا.

٧- التعرف على طرق النظر والاستدلال بالأدلة المتفق عليها بين المجتهدين فقد يكون الدليل واحدا، ولكن الاستدلال به يختلف من مجتهد إلى آخر فيعرف كل منهم طريقة استدلال صاحبه فما يؤدي إلى التيقن بكون الموضوع من القطعيات أو الظنيات [١].

ويمكن الإشارة إلى ظاهرة اجتماعية في كثير من المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية على السواء، وهي أن أصحاب الفرق والمذاهب التي يجمعها أصل مشترك، وتجتمع في إقليم واحد، ومنطقة واحدة يكون التمزق بينها وبين أتباعها أكثر، ولديهم من الأسباب للخصومة والتفرق والتمزق أكثر مما بينهم لو كانوا في إقليمين متباعدين أو مناطق متفرقة، ولذا ترى حرارة الدعوة للتقارب والتعاون بين المتباعدين منهم أكثر منها بين المتقاربين.

ولعل السبب في هذا التباعد بين المتقاربين هو القضايا والمصالح الخاصة والأحداث المؤسفة بينهم التي يتراكم بعضها على بعض على مدار الأيام، حتى تكون حاجزا نفسيا بين الطرفين يمنع في كثير من الأحيان من تحقيق الوئام بينهم، إلا أن يقيض الله سبحانه وتعالى لهم قيادات علمية أو سياسية أو هما معا عالية الهمة تداوي الجراح، وتؤلف القلوب، وتجمع القوى، وتشغلهم بمعالي الأمور، والعمل الصالح للجماهير.

ولنا في تاريخ العرب قبل الإسلام مثلا فقد كانت القبائل العربية متناحرة متفرقة متمزقة كل حزب بما لديهم فرحون، حتى جاءتهم رحمة السماء من الله تعالى، بالرسالة على محمد ﷺ فداوت جراحهم، وألفت قلوبهم، وجمعت قواهم،

---

[١]- راجع إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، ودراسات في الاختلافات الفقهية للدكتور محمد أبي الفتح البيانوني ص ١٧-٦٤١.

وصاروا ربانيين فانشغلوا بالإسلام وأحكامه عن القضايا الخاصة، وبآمال الأمة، وآلامها عن التمركز حول الفرد والقبيلة والمصلحة الخاصة [1].

أهم ضوابط الحوار في الإسلام:

إذا أردنا أن يكون الحوار مثمرا وناجحا، وأن يكون مقبولا من قبل المسلم المحاور، والمحاور فلا بد له من قواعد وضوابط تحكم سيره، فمن أهم هذه القواعد ما يلي:

١- القبول بتعدد الثقافات والتعارف بينهما.

يربى الإسلام المسلمين على أن الحوار طبيعة إنسانية، كما أنه ضرورة دينية، فقد كان مهمة الرسل جميعا صلوات الله وسلامه عليهم، وهو واجب على أتباع محمد ﷺ مصداق قول الله عز وجل ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...﴾[2]، وقوله تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[3].

فالمسلم منفتح على الحوار مع غيره من الأفراد والثقافات، ولكنه في ذات الوقت له ثوابته التي يتمسك بها، ومنطلقاته التي يصدر عنها، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ

---

[1]- راجع لتفصيل هذه المعلومات مقال الدكتور عبد اللطيف محمد آل محمد أستاذ قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية الآداب جامعة البحرين من الشبكة الدولية (الانترنت).

[2]- سورة البقرة آية ١٤٣.

[3]- سورة يوسف آية ١٠٨.

به شَيْئًا وَلاَ يَتَّخذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اَشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1].

كما أن الثقافة الإسلامية تؤمن بوجود مصطلحات متقابلة مثل الإيمان، والكفر، والهدى، والضلال، والدنيا والآخرة، والجنة والنار، والعدل، والظلم، والحق والباطل..الخ، وهذه المصطلحات المتقابلة تقسم الفكر والثقافة بين المسلمين وغير المسلمين ...، ولا يقبل الإسلام وجود هذه المتقابلات في حياة الإنسان الواحد، فلا يمكن أن يكون الإنسان مسلما و علمانيا، أو عادلا وظالما، أو على الحق والباطل، أو مهتديا وضالا في آن واحد...الخ.

والإسلام يؤمن بأن كل ثقافة تطرح نفسها من خلال مفاهيمها ومصطلحاتها، وبالتالي فإن الحوار بين ثقافتين أو أكثر يقتضي الاتفاق على مضامين ومعاني المفاهيم والمصطلحات، وتحديد المرجعية التي يرجع إليها عند الاختلاف في المعني أو المضمون... .

أما الثقافة غير الإسلامية عامة، والغربية منها خاصة، فهي قائمة على نفي التنوع، ومتمركزة على الذات غير المنصفة، فأهل الإنصاف من أتباع الثقافات المختلفة يعرفون ما عندهم، فإذا تبين لهم بالحوار أن فيه باطلا أنكروه، كما أنهم إذا تبين لهم أن ما عند الآخرين فيه حق أخذوه، ولا يدفعهم تقديس الذات إلى التمسك بالباطل الذي هم عليه، وإنكار الحق الذي عند سواهم، كما فعل اليهود والنصارى، قال تعالى:

﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ

[1] – سورة آل عمران آية ٦٤.

وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢) وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [١].

وقد نشأ عن هذه الثقافة المنغلقة تطبيقات عملية عبر العصور تمثلت في الاستعمار القديم والجديد، والغزو الثقافي، والقهر على كل مستوى وفي مجالات متعددة.

٢- التواضع في طلب الحق والالتزام به:

أثبتت التجارب أن التواضع فضيلة تهدي صاحبها للحق، وأما الكبر والغرور بالنفس والإعجاب بها، فيصد عن الحق البين الظاهر، وقد ورد عن النبي ﷺ فيما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن:

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قَالَ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ "[٢].

---

[١]- سورة البقرة الآيات من ١١١ إلى ١١٣.

[٢]- صحيح مسلم كتاب الإيمان، والترمذي في كتاب البر والصلة، وأبي داود في كتاب اللباس، وابن ماجه في كتابي المقدمة والزهد، والإمام أحمد في مسنده.

بطر الحق رده، والإعراض عنه، كما أخبر المولى سبحانه وتعالى أن معصية إبليس كان الدافع إليها الكبر والغرور، قال تعالى:

﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[1].

ولما سأله المولى سبحانه وتعالى عن السبب، فقال معجبا:

﴿قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [2].

ولا يكون الحوار مثمرا في مجال معرفة الحق إلا إذا كان قائما على الأدلة والبراهين، ولقد علمنا الإسلام في مجال إحقاق الحق أن نتحاور مع الآخرين وفق قاعدة ﴿... قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ﴾[3]، فالمحاور المسلم لا يصدر في نشدان الحق عن طلب المغالبة غرورا، أو الجدال بالباطل، كما أنه لا يقبل الدخول في الجدال المذموم عند إثارة أية فكرة أمامه فذلك عبث سخيف، وجهد ضائع، وبسعي لإغلاق أبواب الحوار التي تدخل بالمحاورين إلى متاهات ....، ويوجه الحوار إلى الفكرة التي تظهر الحق، وتساعد على بناء حياة كريمة قائمة على مد الجسور بين البشر وصولا إلى ما فيه الخير والنفع.

وقد أثبت التاريخ أن الأطراف المتحاورة إذا كانت من أهل الإنصاف فإنها تعترف بالحق عند ثبوته.

ومن الفضائل الهامة أن لا يستنكف المتحاور من قبول الحق ولو جاء ممن هو دونه علما أو سنا أو قدرا، ومن الرجوع للحق بعد أن يتبين له، وقد أرشد القرآن إلى أن ابن آدم الأول تعلم من غراب، كيف يواري سوءة أخيه؟، والقرآن يقص علينا ذلك بقوله:

---

[1] - سورة البقرة آية ٣٤.

[2] - سورة الأعراف آية ١٢.

[3] - سورة البقرة آية ١١١.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ من أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ(٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [١].

كما أن سيدنا نبي الله سليمان عليه السلام تعلم من الهدهد ما لم يكن يعلمه، ﴿ ... فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [٢].

وقد حفظ لنا التاريخ رسالة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في القضاء، والتي جاء فيها: "ولا يمنعنك قضاء قضيته بالأمس، فهديت فيه إلى رشدك، أن تراجع نفسك اليوم، فإن الحق قديم، وإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل" [٣].

وأن تكون فرصة الحوار مكتافئة، فلا يشعر طرف بالقهر، أو الضعف، إذ أنه لو كان الحوار بين قوي وضعيف، أو غالب ومغلوب، أو مستعمر ومستعمر، أو قاهر ومقهور، ...الخ، فإنه إن يكون هناك حوار، وإنما سيكون هناك إملاء من طرف، والقبول أو الاستسلام من الطرف، أو الأطراف الأخرى، ...، وهذا الذي دل

---

[١] – سورة المائدة الآيات من ٢٧ إلى ٣١.

[٢] – سورة النمل آية ٢١.

[٣] – أعلام الموقعين لابن القيم الجوزية ١/١٥٢.

عليه الواقع الذي نقله لنا القرآن الكريم وسواه، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر.

أ- قص علينا القرآن الكريم ما كان من فرعون – رمز الاستبداد السياسي والقهر- حين جاءه سيدنا موسى عليه السلام يحاوره ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[1].

ب- أما في التاريخ الحديث فيكفي أن يراجع الإنسان مواقف القوى العالمية الكبرى، منذ الحرب العالمية الثانية، تجاه قضايا العالم الثالث على العموم، والبلاد الإسلامية على وجه الخصوص، حتى يتجلى هذه الحقيقة على الضعفاء، وكما ضاعت حقوق في مؤتمرات عقدت للحوار حول قضايا محددة؟ تكفي نظرة سريعة على مجريات المؤتمرات التي عقدها الكيان الصهيوني بإشراف أمريكا مع العرب ابتداء من "كامب ديفيد"، وانتهاء بشرم الشيخ بمصر، حتى يتبين كيف استسلم الضعفاء للأقوياء؟، ويكفي أن يستمع الإنسان أو يقرأ ما قاله رئيس جمهورية البوسنة والهرسك عقد مؤتمر "دايتون" ليعلم مدى الظلم الذي وقع على المسلمين ..الخ.

من كل ذلك يتبين أن الحوار الذي لا يقوم بين أطراف متكافئة لا تكون نتائجه مثمرة ومجدية، وإنما تكون ظالمة ووخيمة ..، ولذلك أكدت شريعة الإسلام على العدل المطلق بين الصديق والعدو، مع القريب والغريب، وتكفي الإشارة هنا إلى قول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّه شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ

[1]- سورة غافر آية ٢٩.

اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1]، **وقوله جل وعلا** ﴿...وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ...﴾[2].

٣- عدم اتباع الهوى ومحاربة الفساد:

الهوى هو أحد المزالق الخطيرة التي يمكن أن تؤثر على المتحاورين وتخرجهم عن طريق الخير، قال العليم الخبير لخاتم المرسلين ﷺ :

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[3].

إن اتباع الهوى يؤدي إلى الفساد قال عز من قائل ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ...﴾[4].

فصاحب الهوى لا يمكن أن يكون موضوعيا ولا منهجيا، لأنه يريد إخضاع كل شيء تبعا لهواه، فالنصوص عنده تابعة لا متبوعة، والأدلة خادمة لا مخدومة، والنتائج عنده سابقة على الحوار، فهو إذا قرأ وإذا درس وإذا حاور...، لا يفعل ذلك للوصول إلى الحقيقة ...، وإنما يفعل ذلك بحثا عما ينصر رأيه وهواه، ويعضد فكرته ويقويها، ..فإن وجد مبتغاه فرح وأقبل، وإن وجد خلاف ذلك غض الطرف وأعرض.

والوحي يعلمنا ويربينا معشر المسلمين على طلب الحق، ومناشدته، ويكفي أن نتذكر أن القدوة ﷺ فيما رواه عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ

---

[1]- سورة المائدة آية ٨.

[2]- سورة الأنعام آية ١٥٢.

[3]- سورة القصص آية ٥٠.

[4]- سورة المؤمنون آية ٧١.

أُمَّ الْمُؤْمنينَ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَفْتَتحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ منَ اللَّيْلِ قَالَتْ كَانَ إِذَا قَامَ منَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائيلَ وَميكَائيلَ وَإِسْرَافيلَ فَاطرَ السَّمَاوَات وَالْأَرْض عَالمَ الْغَيْب وَالشَّهَادَة أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عبَادكَ فيمَا كَانُوا فيه يَخْتَلفُونَ اهْدني لمَا اخْتُلفَ فيه منَ الْحَقِّ بإِذْنكَ إِنَّكَ تَهْدي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صرَاطٍ مُسْتَقيمٍ"[1]، **فحري بكل مسلم صادق أن يجار بهذا الدعاء المأثور في كل وقت وآن.**

كما أن الإسلام يطالب المتحاورين من أبنائه أن يعملوا مع غيرهم على محاربة الفساد، وإشاعة الحق والأخلاق الفاضلة في الأرض، قال الله تعالى:

﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

كما نقل الله تعالى لنا قول الناصحين لقارون ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ منَ الدُّنْيَا وَأَحْسن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[3]، **والإصلاح المطلوب عام أي في الدماء والأعراض، والأموال وفي كل شيء يقع التداعي والتخاصم فيه.**

---

[1]- صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، والترمذي في كتاب الدعوات، والنسائي في قيام الليل وتطوع النهار، وأبي داود في كتابي الصلاة، والأدب، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، والإمام أحمد في مسنده.

[2]- سورة النساء آية ١١٤.

[3]- سورة القصص آية ٧٦، ٧٧.

وأما سيرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ فقد بينت هذا الضابط بكل وضوح، ويكفي هنا الإشارة إلى "حلف الفضول" فقد شهد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قبل البعثة مع أعمامه خلفا قام به بعض رجال قريش لنصرة المظلوم، ورد الظالم، وهو المعروف باسم "حلف الفضول"، وقد قال ﷺ: "لقد شهدت مع عمومتي في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي بن حمر النعم، ولو دعيت إليه في الإسلام لأجبت" [1].

٤- معرفة الآخرين ومد الجسور معهم:

يربي الإسلام المسلمين على التعارف على الآخرين، ومد الجسور معهم ابتغاء البيان لما عند المسلمين من الحق، ولقد حاول المسلمون مد الجسور مع غيرهم لمحاورتهم حول الكون والحياة، ولمعالجة القضايا الكلية المطروحة في مجال الفكر والعمل، ودل الإسلام المسلمين على أساليب الحوار، ولا سيما في مجال الأفكار، وفي نطاق المنهج العقلي، من خلال طرح الفروض المحتملة وإسقاط الفروض الخاطئة وإبقاء الصحيح، وفق منهج النفي والإثبات العقلي، أو منهج عرض الأفكار والأفكار المضادة ..الخ.

كما أمر الله تعالى المسلمين باتخاذ الأساليب والسبل لإسماع الوحي لمن لم يسمعه، ثم تجري المحاورة بعد ذلك حول ما لفت القرآن الكريم النظر إليه، ويكفي هنا أن نذكر بموضوع واحد من سورة الأنعام :

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ

[1]- رواه ابن إسحاق والإمام أحمد وصححه أحمد شاكر والألباني.

الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

فهذه الآيات أرشدت إلى خمس مجالات للحوار وهي:

أ- تطهير النفس البشرية وتزكيتها.

ب-العلاقات بين الأفراد وداخل الأسرة والجماعة والأمة، والتي تقوم على الترابط والتراحم والعدالة الاجتماعية.

ج- الأساس التشريعي في القضاء والقوانين والنظم واللوائح، والذي يقوم على الحق والصدق.

د- الحضارة البشرية في جميع جوانب الحياة، والتي تقوم على ثقافة التوحيد.

هـ-العلاقات والصلات العالمية التي تقوم على العدل والتراحم والتعارف.

كما أمر الخالق سبحانه وتعالى المسلمين بإشاعة الخير في الكون ومع جميع البشر، ولا يتم ذلك إلا بالتحاور والاتفاق، قال تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

---

[1]- سورة الأنعام الآيات من ١٥١ إلى ١٥٣.

[2]- سورة آل عمران آية ١٠٤.

الخلاصة:

مما سبق يتبين أن الحوار إذا كان وفق ضوابط الشرع الإسلامي، فإنه يكون وسيلة فعالة من وسائل إصلاح الفرد والجماعة، والكون، فبعض القرارات التي يتخذها المتحاورون قد تكون لها آثارها البعيدة المدى في المكان والزمان، ولنتأمل قرارات اتخذت لصالح منع التلوث، أو قرارات اتخذت في مؤتمرات طبية أو مؤتمرات مكافحة الجريمة، أو مؤتمرات العمالة والمواصلات والاتصالات.... الخ.

كما أن الحوار قد يصبح وسيلة لضياع الوقت، وتمييع القضايا، وإضاعة حقوق العباد والبلاد، إذا فقدت الضوابط والمقاييس الصحيحة، فيكفي أن يطلع الإنسان على نتائج القرارات التي اتخذت في المحافل الدولية بشأن كشمير وفلسطين، والبوسنة والهرسك والشيشان...الخ، والمسلم الصادق يحاول دائما لفت النظر إلى الضوابط القائمة على العدل والحق، وإشاعة الخير في الأرض، ومنع الظلم والطغيان والشر، فهو يصدر عن مقاييس الله تعالى القائل:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1] .

مقومات العودة لوحدة الصف:

يقول الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي[2] إن أخطر داء أصاب الأمة الإسلامية قديما وحديثا هو الفرقة والتشتت مما جعلها أمة ضعيفة على الرغم من كثرة عددها واتساع أقطارها، وتوافر الثروة الخصبة لديها ماديا ومعنويا، وهذه مقومات حيوية عظيمة تدفع إلى العودة السريعة لوحدة الصف، وجمع الكلمة، ولتوفير المهابة في صدور الأعداء، وحوافز الوحدة التي تسوق جميع الأمة إلى صياغة جديدة لأوضاعها تتجاوز الواقع المؤلم وتحقق الآمال والتطلعات كثيرة أهمها ثلاثة:

---

[1] – سورة الأنبياء آية ١٠٧.

[2] – كلية الشريعة بجامعة دمشق.

- تحديد المرجعية العليا للدولة والمجتمع والأفراد ألا وهو تحكيم القرآن الكريم والسنة والسيرة النبويتين على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم.
- ضرورة وضع خطة استراتيجية سريعة التنفيذ يتعلق فيها تصميم دول العالم الإسلامي في مراجعة الذات والنهوض من مستنقع التخلف مع جهود الصفوة العليا المختارة من العلماء لبناء وحدة الأمة، أو صياغة اتحادها بنحو جديد وقريب التحقيق قائم على الاجتهاد المتنامي والمستمر.
- الإحساس الشديد وتدفق الشعور الصادق عند كل مسلم بما يجب أن يكون عليه حال الأمة من العزة والإباء والكرامة لمواجهة التحديات والصعاب ومجابهة الأعداء والتخلص من ظاهرة الضعف أو الاستضعاف والاستقلال في اتخاذ القرار الحاسم لعلاج المشكلات القائمة، وإيجاد الحلول الناجعة للأزمات والمستجدات الطارئة النابعة من أصول الإسلام الكبرى، ولبناء الذات وإعادة الثقة بقدراتنا، والحفاظ على وجودنا وتكوين الشخصية المتميزة لنا أمام تكتلات الأعداء ضدنا في هذا العصر بالذات.

ويقول الدكتور أحمد بن عبد العزيز الحداد: "إن الأمة الإسلامية تعيش أزمة علمية لم تعرف مثلها وذلك بموت العلماء الذين لا يأتي بعدهم مثل، وتعيش أزمة نفسية أدت إلى تفرقتهم أيادي سبأ، فلم يعد المسلم الشرقي يهتم بأخيه المسلم الغربي الأدنى منه سكنا وقربي، وها هي الأمة تكتوي الآن بنار الفرقة، وتذوق ذل الهوان بسببها وهو الأمر الذي حذرها منه القرآن الكريم، وحيث قد بدأت تثوب إلى رشدها، فإن الواجب عليها أن تعود إلى هدي كتاب ربها وسنة نبيها فتنبذ الفرقة والاختلاف، وتقيم العدل والإنصاف فيما بينها، وليس ذلك بعسير على هذه الأمة المرحومة، فإنها وإن تعللت برواسب الماضي السحيق وملت المؤلفات التي فرقت شمل الأمة، وكثرة الآراء المنحرفة التي عكرت صفو ضرعها، فإن علماء الأمة

اليوم ومفكريها قادرون على صياغة جديدة لمسائل الخلاف وإذابتها في معين النبع الصافي لهذه الأمة، وحمل الأمة على هذه الصياغة الجديدة التي تؤلف ولا تفرق فإن عند علمائنا اليوم من ملكات الاجتهاد، وصواب الفكر ما يحل مثل هذه المعضلات بأيسر طرق، ويقول إن الاجتهاد وهو الذي يعطينا الثقة بأنفسنا وديننا لا التبعية والتقليد الذي أيسنا من وحدة الصف والكلمة، فها نحن نقول للأمة إن هذا التفرق يمكن أن يزول إذا وحد العلماء فكرهم، واجتهدوا بآرائهم لإذابة جليد الخلاف، فعند العلماء من المكانة العلمية ما يجعل الخلاف لفظيا والعداء وئاما"[1].

عدة جوانب تحقق الوحدة:

تعاني الأمة الإسلامية من أخطار عظيمة، وتتعرض كل يوم لمحن غير يسيرة، مما جعل الأمة تواجه أكبر تحديات تفرض على علماء الأمة، أن يدرسوا الحلول الجذرية لهذا الوضع المزري، ويشد كل منهم أزر الآخر، وهذه يجب أن تكون الغاية العظمى من هذا المؤتمر.

إن الدول الغربية كبريطانيا وفرنسا وألمانيا التي كانت بينها أنهار من الدماء والثارات، إلا أنهم تناسوا كل ذلك عندما وجدوا أن مصلحتهم في تجمعهم وبناء تكتلاتهم، إلا أننا وللأسف الشديد في عالمنا الإسلامي نعجز عن ذلك رغم أنه ليس بيننا ثأرات!، لذا يجب على علماء الأمة الإسلامية التركيز على الجوانب الثلاث التالية:

أولا: الجانب الفقي الذي يتطلب الانفتاح على الآخر، ومعرفة ما يتعلق به من فقه.

ثانيا: هو الجانب السلوكي المتمثل في تزكية النفس، وقبول التعدد، وعدم الاقتصار على طريق واحد لله.

---

[1] - راجع موقع الوحدة الإسلامية على شبكة العنكبوت الدولية.

ثالثا: المنهجي حيث يحتاج التغيير لخطة دقيقة ومنهج مدروس.

مسؤولية الأجيال الحاضرة:

إن مسألة الحوار والتقريب يعود الحديث حولها إلى قرون عدة، ولكن دون أن تتحول إلى أرض الواقع، وإن معالجة المجتمع الإسلامي اليوم ليس تعدد المذاهب، بل غياب وانعدام الفقه الإسلامي للعلاقات الإسلامية المستجدة بملابساتها ومستجداتها، ولذا يستحسن الأخذ بالمقترحات التالية بعين الاعتبار:

- نشر ثقافة مسؤولية الأجيال الحاضرة والناشئة لفهم نصوص الشريعة وأحكامها مع الاستفادة القصوى من السابق.
- تحديد المسلك الرشيد للتعامل مع الاختلاف.
- تحديد الوسيلة لحسم الخلاف في مجال التطبيق.
- إصلاح التكوين في اللغة (في التلقين والمضمون).

تحقيق التعايش بين أتباع المذاهب الإسلامية:

دعوة التعايش كما سبق، هي التي تحتاجها جماهير الأتباع للمذاهب والفرق الإسلامية، ويتحمل العبء الأكبر في تحقيقها علماؤهم ومفكروهم ووعاظهم، ويمكن أن يتحقق التعايش بين أتباع المذاهب والفرق الإسلامية بالأمور التالية:

- إشاعة الأحكام والقضايا المتفق عليها بين المذاهب والفرق الإسلامية والتركيز عليها عند عرض القضايا المختلف فيها.
- احترام المذاهب الأخرى وأتباعها، والتماس العذر لهم فيما اختلفوا فيه عملا بقاعدة "رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب".
- البعد عن سوء الظن بالآخرين.

- **الاهتمام بقضايا الأمة الإسلامية والاجتماع عليها وتقديمها على القضايا الشخصية كالتعاون على البر والتقوى، والأخوة الإيمانية، والعمل على تحقيق العزة لها ولأتباعه.**

- **تفويض الحكم فيما اختلفت فيه الأمة إلى الله تعالى سواء كان ذلك في أصل الاختلاف أو في الدليل أو في الاستدلال بالدليل عملا بقول المولى سبحانه وتعالى** ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [1].

- **عدم تحميل أتباع المذاهب أوزار السابقين، ولا تحميلهم تبعتهم عملا بقول الله سبحانه وتعالى** ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى..﴾ [2]، **وبقوله جل وعلا** ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ [3].

- **تنمية التعلق بالآخرة، وتحقيق الفوز يوم القيامة فهو الذي يعمل له المسلمون، ومن أجلهم جاء الإسلام، كما جاءت بقية الأديان السماوية، فإن الصراع على الدنيا هو الذي يفرق بين المحتاجين والمتوحدين، حيث يقول سبحانه وتعالى:**

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [4].

---

[1] - سورة فصلت آية ١٠.

[2] - سورة فاطر آية ١٨.

[3] - سورة البقرة آية ١٣٤.

[4] - سورة النحل آية ٤١.

- تفويض قضايا التاريخ إلى الله تعالى فهو العليم ببواطن الأمور، وخفايا الصدور، فتلك أحداث لم نشهدها ولسنا مساءلين عنها أما الله تعالى، والانشغال بها لن يغير موقعها، ومهما اشتغلنا بها فلن نستطيع الوصول إلى رأي واحد فيها، لكننا مسؤولون ومساءلون عن تطبيق الإسلام في يومنا، والتخطيط لغدنا فذلك كسبنا، أو اكتسابنا وربنا جل جلاله هو الذي يحاسبنا عليه.

تحقيق التقارب بين أتباع المذاهب الإسلامية:

أولا: الدعوة للتقارب هي التي تكون بين العلماء والمفكرين أولا، وتقوم على البحث العلمي والنقاش الهادئ فيما اختلفت فيه مذاهبهم من المصادر، (المرجعيات)، والأدلة ومناهج الاستنباط.

ثانيا: وهو أكثر من المناظرات، لأن المناظرة كما يعرفها أبو البقاء الكفوي: "هي النظرة بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب، وقد يكون مع نفسه"، وفي الغالب تكون المناظرة في قضية واحدة، أما الذي يحقق التقارب هو البحث العلمي في المصادر الأصلية لكل فرقة أو مذهب من حيث الإثبات والصحة.

يقول الشيخ عبد العزيز محمد عيسى [1] في هذا الشأن:

"من الواجب إذا أن ندرس قبل أن نحكم، وأن ندرس الجديد ولا نكتفي بالقديم، وأن نعلم عن يقين ما الذي تحول وما الذي بقي دون أن يتحول، وأن نتابع الأفكار من مصادرها الأصلية، ومن معينها الذي تتبع منه، وأن نفرق بين ما يراه الخاصة الذين لهم حق التحدث باسم العلم.

---

[1]- وهو من الداعين للتقارب بين المذاهب الإسلامية وأحد أعضاء "دار التقريب بين المذاهب الإسلامية".

والفكر والرأي والمذهب، وبين العامة الذين ليس لهم إلا التقليد والتعصب ووراثة الآراء دون وقوف عند ما يعطيه الدليل أو يهدي إليه البحث".

وهذا متناول لا يسمو إليه الأفراد، ولا تصل إليه الجهود المبعثرة والقوى المتفرقة، وإنما السبيل إلى بلوغه، هو أن ينشأ معهد للدرس والبحث، على نمط المعاهد التي تنشئها الأمم الراقية لتبحث في ناحية من نواحي الصحة أو الاجتماع، وتكون مهمة هذا المعهد الذي يقتصر على الباحثين والعلماء دون طلاب يتعلمون أن يبحث في شؤون الطوائف والبلاد الإسلامية المعاصرة من حيث الفكرة الدينية عقيدة وشريعة ومعارف كلامية، وأن ينظر في علاقة أهلها بالمذاهب السابقة، ومدى هذه العلاقة، وأن يفحص ما عسى أن يكون عندها من مؤلفات ورسائل ومقالات، وأن يتابع في ذلك الخاصة من أهل العلم والفكر، ويعرف لم اختلف هؤلاء مع العامة فيما يتعصبون له، ويجعل لكل طائفة وبلد سجلا خاصا يحوي جميع البحوث والمعلومات التي تتعلق بهذه الطائفة، أو بهذا البلد، ويحوي مقارنات بين الماضي والحاضر إلى غير ذلك من الدراسات العلمية المنظمة التي تصور لكل من يريد العلم الصحيح والحكم الصادق صورة الحياة الدينية في كل ناحية من نواحي الأمة الإسلامية، ولدى كل طائفة تنتسب إليها.

بذلك يمكننا في سهولة ويسر أن نعرف أوجه الوفاق والخلاف على صورة محدودة، وأن نصلح ما أفسده الدهر، ونحقق ما زوره التاريخ وننشر في ربوع كل دولة ما عند الأخرى، فيتبادل المسلمون الثقافة الصحيحة، ويعرف بعضهم بعضا على حق، وتزول من بينهم الجفوة والقطيعة، ويأخذوا سبيلهم إلى الوحدة والألفة التي لا يصلح أمرهم إلا عليها، ولا يستقيم شأنهم إلا بها.

وإن هذا المعهد ليحتاج إلى قوة ثابتة متركزة لها إشراف ديني، ومركز ثقافي، ومال ضخم وصلات موثقة بالعمل الإسلامي، ومقام كريم بين أهله، لأن ذلك

كله مما يعين هذا المعهد على النجاح في فكرته والقيام بها على وجه مثمر، ويفتح الآفاق ويذلل الصعاب أمام رجاله في بحوثهم وفي رحلاتهم وفي مراسلاتهم.

وختاما

إن وحدة الأمة الإسلامية واجب شرعي، وعقلي، واختلاف المذاهب والفرق الإسلامية أمر واقع لا يمكن القضاء عليه، جعله الله تعالى اختبارا لنا ليعلم كيف نتصرف فيما اختلفنا فيه دون أن نخل بالواجب الشرعي والعقلي لوحدة الأمة الإسلامية، ليكون لنا ما كسبناه من خير وبر وتعاون وحدة وتقوى، وعلينا ما اكتسبنا من شر وفجور وتدابر، وتفرق وإعراض عن التوجيهات الربانية ، لقد صدق الله سبحانه وتعالى في قوله ومن أصدق من الله قيلا ﴿.. وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [1].

[1]- سورة المائدة آية ٤٨.